كيف تأكل وتشرب غزة تحت القصف؟

يُكرر الفتى أحمد طلال البالغ من العمر 13 عامًا كلمة (لا) على مسامع والدته، أكثر من عشر مرات في الدقيقة الواحدة، ولا تنجح كل المحاولات في إقناعه للذهاب إلى "المحل التجاري" الذي لا يبعد عن "المنزل" سوى أمتار معدودة، لشراء "الخبز".

وأمام خوف وقلق طلال، من القصف الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة، والذي انتقل إلى إخوته "الأربعة" الآخرين، كانت العائلة على موعدٍ مع تناول طعام الإفطار بدون أي كسرة خبز بعد نفاذه من المنزل.

وإن كان الذعر والرعب من آثار القصف، قد منع طلال من مغادرة بيته، خشية التعرض للإصابة أو الموت بفعل الغارات العنيفة، فإن إغلاق المحال التجارية كان سببًا في أن يفشل "عدي عبد الرحمن" البالغ من العمر 16 عامًا، في الرجوع إلى المنزل بالخبز واللبن، وغيره من الطلبات التي خطتها والدته على ورقة صغيرة.

ويقول عبد الرحمن: "معجزة أن تجد محلاً يفتح أبوابه في هذه الأجواء، لقد غامرت بالخروج، ولكن النتيجة صادمة، المخابز مغلقة، والمحال وكأنها في (حظر تجوال)".

وأحال قصف الطائرات الحربية الإسرائيلية المتواصل لليوم الرابع على مختلف أنحاء قطاع غزة، شوارعها إلى مناطق "محظورة التجوال فيها".

وعلى غير عادة شوارع قطاع غزة، التي تبدو في شهر رمضان نابضة بـ"الحياة"، وحركة الأهالي المشغولين بالتزود بحاجيات الصوم، والمستلزمات الرمضانية، حل السكون التام طرقات وشوارع القطاع، التي خلت بشكل شبه تام، من المركبات.

وأغلقت المحال التجارية أبوابها، وهو ما يجعل التزود بالطعام في الوقت الحالي أشبه بـ"المهمة

المستحيلة" كما يقول رجب خليفة البالغ من العمر 45 عامًا.

ويضيف خليفة الأب لسبعة أبناء، إن شهر رمضان يتطلب الكثير من الحاجيات اليومية، والتي بات من الصعب الحصول على أغلبها في أجواء القصف المخيفة.

ويتابع: "ما كان موجودًا في السابق من طعام ومستلزمات للسحور والفطور، نفذت، واليوم بعد أن كانت الأسواق تعج بما لذ وطاب من الأشكال والأصناف الرمضانية، تحولت إلى منطقة أشباح".

ويشن سلاح الجو الإسرائيلي، منذ مساء الإثنين الماضي، غارات مكثفة على أنحاء متفرقة في قطاع غزة، في عملية عسكرية أطلقت عليها إسرائيل اسم "الجرف الصامد"، تسببت بمقتل وإصابة العشرات.

وبالرغم من فتح السلطات الإسرائيلية لمعبر كرم أبو سالم، المنفذ التجاري الوحيد لقطاع غزة لإدخال البضائع، إلا أن الحركة التجارية تتعطل أمام الغارات الحربية.

واعتمدت إسرائيل "كرم أبو سالم" والواقع أقصى جنوب قطاع غزة معبرًا تجاريًا وحيدًا بعد أن أغلقت المعابر التجارية في منتصف يونيو عام 2007 عقب سيطرة حركة حماس على غزة.

ويغلق المعبر يومي الجمعة والسبت من كل أسبوع، عدا عن إغلاقه لأيام أخرى بسبب الأعياد اليهودية، أو لذرائع أمنية.

ويعد معبر كرم أبو سالم المنفذ التجاري الوحيد لسكان قطاع غزة البالغ عددهم مليونًا و800 ألف فلسطيني، بعد إغلاق الأنفاق المنتشرة على طول الحدود الفلسطينية المصرية.

ويقول محمد عبد الكريم، وهو أحد التجار الغزيين، إن المستلزمات الغذائية والبضائع متوفرة في قطاع غزة، إلا أنّ المشكلة تكمن في الغارات الإسرائيلية المتواصلة.

وتابع: "تجار نقل البضائع يجدون صعوبة، لتزويد المحال بالبضائع، المركبات متوقفة، التجار متخوفون من اشتداد القصف".

ويرى عبد الكريم أنه حتى لو فتحت كل الأبواب أمام البضائع للدخول إلى قطاع غزة، فشدة الغارات وكثافتها تجعل الحصول على الغذاء مغمسًا بالموت.

ويستدرك: "حتى لو عادت الأنفاق من جديد للعمل، وفتحت إسرائيل معبر كرم أبو سالم بشكل كلي، القصف العنيف منع عن غزة الغذاء".

ومع اشتداد الحصار الذي شددته إسرائيل على قطاع غزة في منتصف يونيو 2007 برزت على السطح ظاهرة الأنفاق على طول الشريط الحدودي الفاصل بين الأراضي المصرية والفلسطينية.

وشكلت الأنفاق المتنفس لسكان قطاع غزة المحاصرين، ومن خلالها دخلت الكثير من البضائع والمواد الغذائية والوقود، غير أن هذا المشهد تلاشى، منذ إطاحة قادة الجيش، بمشاركة قوى شعبية وسياسية ودينية، بالرئيس المصري السابق محمد مرسي، في الثالث من يوليو الماضي.

وإن كان الغذاء قد نفذ من منازل الكثيرين من الغزيين، وكبلهم الخوف من التزود بالقليل منه فإن مشكلة "مياه الشرب" تواجه مئات العائلات، إذ تمتنع شركات تعبئة المياه من الوصول إلى المنازل خوفًا من القصف.

وتقول "سهام رجب" ربة المنزل والأم لتسعة أطفال، إن الماء نفذ، ومنذ الإثنين الماضي وهي تحاول الاتصال من مزود للمياه غير أن مهمتها فشلت.

وتتابع: "الكل خائف من الاقتراب من المنزل فالقصف بدأ يطول كل مكان، وهو ما يُسبب الذعر للجميع، ويجعلنا بلا أكل ولا شراب".

ويشترى الغزيون مياه الشرب، من شركات خاصة، حيث إنهم لا يستخدمون مياه الصنابير، شديدة الملوحة، والملوثة.

وتقول تقارير بحثية متخصصة إن 95% من المياه الجوفية لقطاع غزة غير صالحة للشرب، لانخفاض جودتها بسبب زيادة نسبة الكلورايد والنترات فيها.

وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن 80% من سكان غزة يقومون حاليًا بشراء مياه الشرب بثلث الدخل المالي للأسرة.

ومتخوفًا من اشتداد القصف، وتداعياته يتمنى عبد القادر فرج (52 عامًا) عودة الهدوء، إلى قطاع غزة، وأن تتوقف الغارات الإسرائيلية.

ويتابع: "بتنا نخشى الخروج من المنزل، خوفًا من أي قصف مباغت، لا نستطيع أن شراء أي طعام، وغزة تحولت إلى مدينة (الموت)".

رابط المقال: https://www.noonpost.com/3190/